العرب
الثلاثاء 2021/01/19
السنة 43 العدد 11945

ملابس البالة كساء السوريين في بردهم وفقرهم

البازارات للفرجة بعد غلاء الأسعار ونقص الخيارات

انتشرت أسواق البالة في العاصمة دمشق وبعض المدن السورية الأخرى بعد أن تدهور وضع العائلات الاقتصادي وانهارت الليرة، فصارت المئات من العائلات تتوجه بعد بداية كل موسم إلى إكساء أطفالها من محلات وعربات تتوفر فيها البضاعة بأسعار تناسب ما تحويه جيوبها التي أصبحت شبه فارغة.

كل القياسات لكل الفئات

دمشق – بدأ شتاء السوريين قارسا هذا الموسم، وهم الذين لم يخرجوا بعد من التبعات الاقتصادية التي خلفتها الحرب التي لم تبق لهم من المدخرات شيئا، بل زادت معاناتهم مع غلاء المعيشة الذي أرهق جل العائلات في أنحاء البلاد، لذلك لم يجدوا ملاذا غير سوق الملابس المستعملة، ليكسوا أجسادهم ويحموا أطفالهم من برد الشتاء.

وعلى جوانب كومة من الثياب المبعثرة على طاولة في أحد أسواق البالة في شارع بوسط العاصمة دمشق، يقف المئات من السوريين رجالا ونساء يبحثون عمّا يحتاجونه من ملابس تناسب ما في جيوبهم.

وبات سوق القنوات أين تعرض العشرات من المحال بضاعتها على طاولات وعربات، أو تعلّقها على منصات على جانبي الطريق، ملاذا لغالبية الأسر السورية بعد أن عجزت عن اقتناء الألبسة الجديدة لغلاء أسعارها الخيالي أولا، ولقلة الخيارات لعشاق الموضة ثانيا. وإن حصل ومروا بتلك البازارات، فبقصد النظر إليها والنظر إلى أسعارها ومقارنتها مع سوق الألبسة المستعملة.

> ارتفاع أسعار الملابس الجديدة بشكل خيالي وانهيار أسعار صرف الليرة السورية أمام العملات الأجنبية وراء ازدهار سوق البالة

ومع اشتداد البرد هذا الشتاء، وقلة توفر وقود التدفئة في البلاد، بات من الضروري على معظم الأسر شراء المعاطف الشتوية والألبسة الصوفية للأولاد والكبار، ولكنّ شراءها من المحلات التي تبيع الثياب الجديدة قد يكون صعبا بعض الشيء، أمّا في سوق "البالة" كما يسميه السوريون، فهي متاحة وأثمانها أرخص بكثير من محلات بيع الثياب الجديدة.

ووسط كومة من الثياب والمعاطف المبعثرة، تحاول أم عدنان (38 عاما) جاهدة العثور على معطفين لابنتيها سارة وعفاف بأسعار مناسبة، لكي يقيانهما برد الشتاء عند ذهابهما إلى المدرسة.

وقالت أم عدنان، وهي تحمل بيدها معطفا زهري اللون لوكالة أنباء (شينخوا)، إن "الوضع المادي لأسرتي صعب، ومن غير الممكن شراء معاطف جديدة للأولاد من المحلات المعروفة"، مؤكدة أن سوق البالة بات ملاذا لغالبية الأسر السورية، حيث يجد الكل ضالته هناك.

وتابعت تقول، إن "الألبسة المستعملة فيها أشياء جيدة، وفيها موديلات حديثة، وإضافة إلى ذلك فإن سعرها مناسب قياسا بالألبسة الجديدة"، لافتة إلى أنها اشترت عدة ملابس من هذا السوق بسعر قطعة أو قطعتين من الألبسة الجديدة.

وبعد أكثر من تسع سنوات من الحرب التي استنزفت الاقتصاد والبنى التحتية، يعاني السوريون من أزمة معيشية خانقة فاقمها انتشار فايروس كورونا، وهذا الوضع انعكس سلبا على القدرة الشرائية للسوريين الذين يعيش الجزء الأكبر منهم تحت خط الفقر.

ولم تبد أم أمير (36 عاما) حرجا وهي تتكلم عن شراء ملابس لأسرتها من سوق البالة، فيما كان البعض منهم سابقا يشعرون بالحرج وهم يشترون من هذا السوق، وعبرت عن سرورها بوجود أشياء أعجبتها.

وقالت "جئت مع ابنتي لشراء بعض الملابس الصوفية، لأن البرد يشتد والأولاد بحاجة ماسة إلى تلك الملابس"، مؤكدة وهي تتبسّم، "لم أحاول الذهاب إلى محلات الألبسة الجديدة، كي لا أصاب بالصدمة من شدة غلاء أسعار تلك الثياب".

وأشارت، وهي تقلب بحثا عمّا يعجبها في أكوام الثياب ذات الألوان المختلفة، إلى أن هذه الأسواق باتت تقصدها الغالبية العظمى من الأسر، مبينة أنها في ما مضى كانت مقصدا للأسر الفقيرة والمعدومة، أما الآن فهي أسواق منتعشة.

ويزور المئات من السوريين باستمرار ذلك السوق الذي يبيع إضافة إلى الملابس، الأحذية المستعملة والمظلات الشمسية وبعض البيجامات، وغالبيتهم يعودون محملين بكيسين أو أكثر مملوءة بالثياب.

ليس الفقراء وحدهم من يتوجهون إلى سوق الملابس المستعملة، فدانة شوكة (28 عاما) تتوجه صباح كل سبت إلى سوق البالة، بحثاعن قطع مميزة من الملابس وبأثمان بخسة، إلى درجة باتت تحفظ وجوه التجار والعكس صحيح.

تقول دانة "بات التسوّق من البالة والبحث عن الثياب الرخيصة والجميلة، أشبه بالعادة الأسبوعية كما لقاء الأصدقاء في أيام العطلة"، مؤكدة "بثمن قطعة جاهزة.. يمكنني شراء ثلاث أو أربع قطع من البالة".

على الموضة ومن البالة

ومن جانبه قال عبدالرحيم (42 عاما)، وهو صاحب محل للألبسة المستعملة في سوق القنوات الذي يربط بين دمشق القديمة والحديثة، إن "السوق مزدهر هذا الأيام"، وعزا ذلك إلى "ارتفاع أسعار الألبسة الجديدة بشكل خيالي، وانهيار أسعار صرف الليرة السورية أمام العملات الأجنبية، وتدني دخل الأسر السورية"، مؤكدا أن هذه الأسباب مجتمعة جعلت من سوق البالة سوقا مزدهرا.

وتابع يقول "هناك البعض من الصعوبات في الحصول على الألبسة المستعملة من الخارج بسبب العقوبات الاقتصادية، إضافة إلى أن انتشار فايروس كورونا في سوريا والعالم، منعنا من الحصول على ما نريد من ألبسة من الأسواق الأوروبية"، مؤكدا أن هذا الأمر دفع بعض التجّار إلى رفع أسعار بعض القطع، ولكن تبقى أسعارها أرحم بكثير من أسعار الملابس الجديدة.

وأشار عبدالرحيم، إلى أنه كثيرا ما كان يتعاطف مع الناس ويبيع قطع الثياب بنصف سعرها، موضحا أن الناس غير قادرين على تأمين الطعام والشراب في هذه الأيام، وبالتالي لا بد من مساعدتهم بأشياء ثانوية مثل الملابس.

وسوق البالة في القنوات واحد من ستة أسواق للملابس المستعملة في دمشق وضواحيها. وكان بعضها موجودا قبل الحرب بينما ازدهر البعض الآخر خلالها. وتتواجد أسواق مماثلة في المحافظات بينها حلب وحماة.

أسواق البالة تنتشر في دمشق

بدو فلسطين يكافحون للتعلم عن بُعد في زمن كورونا

غور الأردن (الضفة الغربية) – رغم محاولاتها العديدة، لم تستطع الطالبة الفلسطينية وعد بشارات (13 عاما) الدخول على الإنترنت عبر الهاتف المحمول لحضور حصة دراسية مع زميلاتها في فصل للتعليم عن بُعد، وهي جالسة في المرعى تتابع غنم والدها قرب طوباس في الضفة الغربية.

فمع عدم توصيل بيوتهم بالشبكة الكهربائية وافتقارهم إلى التكنولوجيا اللازمة للتعلم عن بُعد، يكافح طلاب البدو الفلسطينيون في غور الأردن لمواكبة التعلم الإلكتروني وسط إغلاق المدارس أثناء جائحة كورونا.

وصار البدو الرعاة في الضفة الغربية أكثر عزلة وأشد بعدا عن الحياة الفلسطينية العادية من أي وقت مضى منذ بدء تفشي فايروس كورونا الذي انتشر في أنحاء العالم.

وعلى الرغم من أن عزلتهم التي تفرضها طبيعة حياتهم يمكن أن تجعلهم أقل عرضة للإصابة بالوباء، فإن الإغلاق المفروض على الضفة الغربية للحد من انتشار الفايروس يعطل سبل حياتهم كالدراسة وتصريف منتجاتهم في القرى المحلية.

وقال سلامة صافي (75 عاما)، وهو راع يسوق قطيعه ممتطيا ظهر حمار قرب بيت لحم، إن هذا هو ما يجعل حياة البداوة أفضل من حياة المدن، مضيفا "فايروس كورونا جعلنا نبتعد عن الناس ولا نقدر على الذهاب إلى إسرائيل والعمل هناك. الحياة في البرية أفضل الآن".

وقال علي عبدربه، مسؤول الطب الوقائي في وزارة الصحة الفلسطينية، إن نمط حياة الرعاة قد يمنحهم ميزة عدم الإصابة بالفايروس، ولكن بشرط ألا يختلط أحد منهم بسكان المدن والقرى.

لكن محمد إسحق، (53 عاما)، وهو بدوي قرب أريحا في غور الأردن، يقول إنه لم يعد بإمكانه الوصول إلى المجتمعات المجاورة لبيع الجبن وغيره من منتجات الأغنام، ووصف ذلك بأنه ضربة لقطاع الزراعة.

وأضاف إسحق "خسائرنا سوف تكون أكثر لأن قطاع الزراعة دائما ما يتأثر بأي تغييرات. اليوم ومع إجراءات الحجر الصحي بتنا عاجزين عن ترويج منتجاتنا في المدينة، والأمور تزداد تعقيدا مع تواصل غلق الطرقات".

ويقول سليمان الزايد، (65 عاما)، وهو مختار من مضارب عشيرة الزايد بالقرب من أريحا، إنه لم يعد هناك سبيل للوصول إلى رام الله أو أي مدينة أخرى.

وقالت وعد بشارات "واجهت صعوبات كثيرة لأواكب دروسي بسبب ضعف الإنترنت، أثناء رعايتي للأغنام حاولت الدخول على حصة متأخرة، لكنني مازلت أواجه الصعوبات، لا يتوفر لدي جهاز كمبيوتر أو هاتف ذكي، كما أنه لدي إخوتي يتابعون أيضا دروسهم عن بعد، فنضطر لأن يتابع واحد منا دروسه لينتظر الآخرون".

وتوضح الفتاة أن أباها يحتاج إلى هاتفه المحمول عند الخروج إلى سفوح التلال مع قطيع الغنم، وعندما يعود إلى المنزل يتناوب أبناؤه الستة، وكلهم في المدارس والجامعات، لاستخدامه في دروس افتراضية عبر الإنترنت.

وأضافت وعد "إذا لم أتابع الحصة يسجل غيابي، تفوتني الحصص وذلك يؤثر على امتحاناتي إذ يمكن أن أخسر الفصل كاملا، لأنه أثناء الحصة تدخل المديرة، تسأل عن أسماء البنات الحاضرات، وتسجل من غاب، وأنا غبت كثيرا".

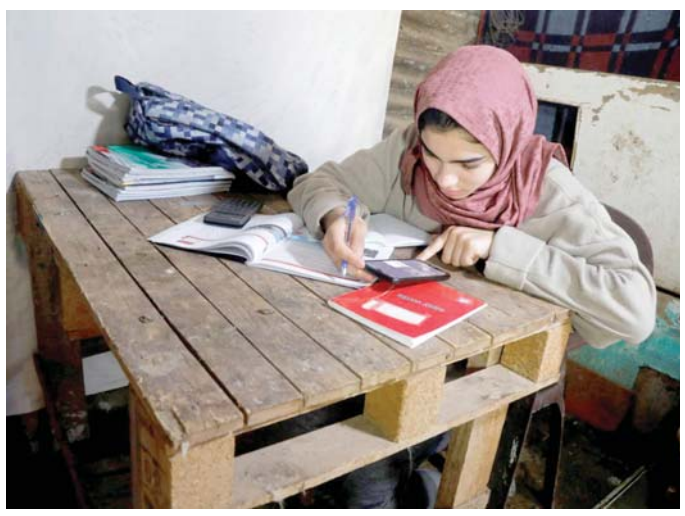

درس في ظروف صعبة

وأوضح والدها برهان بشارات، (48 عاما)، أن الأسرة لا تستطيع شراء أجهزة محمولة بعدد الأبناء لحضور دروس عبر الإنترنت في نفس الوقت.

وقال "هناك طاقة شمسية ولكنها لا تفي بالغرض، لأننا بحاجة للكهرباء، لا بد أن نشحن هواتفنا وتراجع البنات دروسهن في الليل، أحيانا تأتي الكهرباء ثم سرعان ما تنطفئ. وبالنسبة إلي لا أستطيع أن أوفر لكل أولادي هاتفا ذكيا، أقل جهاز يكلف 400 أو 500 شيقل وأنا عندي 6 طلاب وليست لدي هذه الإمكانيات".

وتقول شيماء (16 عاما)، وهي الأخت الأكبر لوعد، إنه حتى لو توفر لهم الهاتف فغالبا لا تتوفر كهرباء كافية وطاقة تجعله مشحونا بشكل كامل طوال الوقت.

وأضافت "نتعلم عن طريق الدور حاليا، وطبعا هناك صعوبات كثيرة من حيث قلة عدد الأجهزة، فإذا أكملت أنا حصتي، تأتي أختي لتكمل حصتها وهذا غالبا غير ممكن لأن الكهرباء تنقطع، ولا نستطيع أن نشحن الأجهزة المتوفرة".

ويعيش نحو 30 ألف فلسطيني في أماكن الرعي المتناثرة بالضفة الغربية، يحرسون قطعانهم ويرعون أغنامهم على التلال والوديان الصخرية غير المأهولة، ويعاني هؤلاء من انقطاع الطاقة ونقص الكهرباء وزيادة مستوى الفقر قبل بدء جائحة كورونا بزمن.

> حوالي ثلاثين ألف فلسطيني من البدو يعانون انقطاع الطاقة ونقص الكهرباء وزيادة مستوى الفقر

وعدم توفر الكهرباء والإنترنت الهوائي المنزلي جعل الإخوة يعتمدون على الهواتف المحمولة التي تعمل بنظام إنترنت الجيل الثالث والتي يقولون إنها غير كافية للتعلم عن بُعد.

وذكر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام 2013 أن 41 في المئة من العائلات البدوية التي تعيش في المنطقة (ج) بالضفة الغربية، وهي منطقة تخضع بشكل كامل لسيطرة إسرائيل بموجب اتفاقيات أوسلو المؤقتة المبرمة عام 1993، ليس لديها مصدر للكهرباء بسبب قيود تفرضها إسرائيل عليها.